

فقدان الهوية لدى الشباب وعلاقتها بوسائل الاتصال الرقمية

Loss of identity among young people and their relationship to digital means of communication

أ. سهام قنيفي¹

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد خيضر بسكرة - الجزائر

البريد الإلكتروني: sihame.guenifi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/02/28

تاريخ القبول: 2019/05/23

المخلص

غزت وسائل الاتصال الرقمية الحياة الاجتماعية بدون مقدمات مخلفة تغييرات جمة على كل الأصعدة، وشهدت اقبالا واسعا من فئة الشباب خصوصا أين أضحت روتيننا يوميا لا يستغنى عنها، فأحدثت ثورة على صعيد الهوية الذاتية والاجتماعية التي لطالما طرحت اشكالات كبيرة في مجتمعاتنا العربية ومنها المجتمع الجزائري، فلقد زادت هذه الوسائل من حدة أزمة الهوية لدى الشباب، وأدت إلى فقدانها أحيانا، وإلى طمسها نهائيا أحيانا أخرى، لتعمق بذلك من مشاعر الاغتراب لديهم، الذي ترجم بدوره في سلوكيات أفرزت أضرارا عديدة على ذواتهم وعلى مجتمعاتهم.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الاغتراب، وسائل الاتصال الرقمية، التكنولوجيا.

Abstract:

The means of digital communication have invaded social life without introductions, leaving many changes at all levels, and have seen a large turnout among young people, especially where it became a daily routine is not dispensed with. It has revolutionized the level of social and self-identity that has always posed great problems in our Arab societies, including Algerian one. These means have exacerbated the crisis of identity among young people, led to their loss at times, and finally to obliterate them at times, thereby deepening their feelings of alienation, which in turn translated into behaviors that caused many harm to themselves and their societies.

Key words: identity, Alienation, digital communication

المؤلف المرسل: أ. سهام قنيفي الايميل: sihame.guenifi@gmail.com

المقدمة:

تعد قضية الهوية من أكثر القضايا التي تطرح نفسها بقوة على الساحة الفكرية في العالم أجمع في وقتنا الراهن، وتحديدًا مع بداية العقد الأخير من القرن العشرين، حيث بدأ سؤال الهوية يطرح نفسه بشدة بوصفه السؤال الأكثر حساسية والأكثر أهمية في ظل صراع الحضارات أو الثقافات، والهوية هي السمات الخاصة التي تجعل المركب الثقافي بكل محتوياته المادية والرمزية يختلف من مجتمع إلى آخر، إنها مجمل الظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية و السيكولوجية التي تعطي لهذا المركب خصوصيته، وهي المسؤولة عن تشكيل نظرة أصحابه للآخر، وهي التي تعطي للإنسان كيانه وتحدّد له وجوده.⁽¹⁾ ويشهد والمجتمع الجزائري تحولات اجتماعية وثقافية رهيبية نتيجة التطور الحضاري والتكنولوجي، مست كل مستويات الحياة وكل الفئات، خاصة منها فئة الشباب التي تتميز بمميزات فريدة تجعلها سهلة التأرجح مع هذه التغيرات.

غير أن وسائل الاتصال الرقمية أو ثورة الاتصال الرقمي أحد أهم التحولات الآتية التي غيرت أنماط الحياة، وبالتالي واقع الشباب ونفسياتهم وسلوكياتهم وقيمهم وأنماط عيشهم، وعليه حملت هذه الوسائل معها بذور فقدان الهوية لدى الشباب سواء كانت هوية ذاتية أو جمعية - وإن كانتا لا تتفصلان عن بعضهما - من خلال الانفتاح اللامحدود على العالم الخارجي في ظل الواقع المرير الذي يعيشه شبابنا اليوم وانعدام شروط الحياة الكريمة، بداية من الشروط السياسية والاقتصادية... الخ، لترمي بهم إلى مشاعر الاغتراب عن الذات وعن المجتمع الذي يعيشون فيه، محاولين الهروب منه ومحاكاة ذوات وثقافات أخرى غريبة عنهم أو تجدهم في رحلة البحث عن هويتهم الضالة.

وتسعى هذه الورقة في البحث في العلاقة الجدلية بين مفهوم الهوية والاعتراب والعوامل الفاصلة بينهما على اعتبار أنهما قطبين متضادين، كما نسعى إلى محاولة توصيف أفراسات الثورة الاتصالية الرقمية على بروز مشاعر الاغتراب وتجلياته بين الشباب، خاصة في ظل الاستخدام الكثيف لتلك الوسائل، وفي الأخير نستحضر تداعيات شعور الاغتراب المدمرة على شبابنا وعلى مجتمعاتنا عموماً.

(1) سناء عادل ابراهيم : التغير القيمي وعلاقته بهوية الذات والاعتراب النفسي، رسالة ماجستير، قسم ارشاد نفسي وتوجيه تربوي، كلية

الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية - غزة، 2015، ص4.

1. الهوية والاعتراب-جدلية العلاقة-:

يعتبر "اريكسون" أول من قدم مفهوم الهوية واعتبرها إنجازاً رئيسياً للشخصية في مرحلة المراهقة كخطوة أساسية ليصبح الراشد منتج وسعيداً فيما بعد، ومع أن تشكيل الهوية يعتبر حدثاً طبيعياً لدى الأفراد، إلا أنه يمثل نقطة تحول في النمو الإنساني لها آثارها على المهارات النفسية.⁽¹⁾ والهوية معناها في الأساس التفرد، وهي ما يشخص الذات ويميزها، كالبصمة في الإنسان يتميز بها عن غيره، وهي السمات المشتركة التي تميز بها جماعة لنفسها وتعتر بها.⁽²⁾ والهوية حسب علماء النفس الاجتماعي نوعان، بينهما درجة كبيرة من الارتباط، هوية شخصية وهوية اجتماعية، تقوم الأولى على الخصال الفردية والوعي، أما الثانية فتقوم على الانتماء للجماعة، ويفقد الإنسان أحياناً الإحساس بالهوية الشخصية، ولذلك يسلكون طرقاً عنيفة ضد المجتمع ومعاييره كما يشعر الفرد أحياناً بالانفراد واللامسؤولية، فيصبح أقل وعياً بقيم الجماعة، نظراً لفقدان المسؤولية الشخصية لما تفعله الجماعة.⁽³⁾

ويرى "حسن حنفي" أن الإنسان الطبيعي هو الذي يوجد بين قطبي الهوية والاعتراب، ولا يمكن التخلص من الاعتراب أو على الأقل درجة منه يحددها التحقق الذاتي، أي أنه يرى أن الاعتراب وفقدان الهوية هما نفس المفهوم، والذين ينتج عنهما ردي فعل متضادين العزلة والانطواء أو الانتشار والعنف. فالإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون على غير ما هو عليه، فالهوية تعبير عن الحرية الذاتية، الهوية مكانية قد توجد وقد لا توجد، وإن وجدت فالوجود الذاتي، وإن غابت فالاعتراب، فالهوية أن يكون الإنسان هو نفسه متطابقاً مع ذاته في حين الاعتراب هو أن يكون غير نفسه، بعد أن ينقسم إلى قسمين هوية باقية وغيرية تجذبها. وقد تتحول الهوية إلى اغتراب عن الذات، أي على نفسها، وتتحوّل مما ينبغي أن يكون، إلى ما هو كائن من إمكانية الحرية الداخلية، وبالتالي ضرورة الخضوع للظروف الخارجية بعد أن يصاب الإنسان بالإحباط، والإحباط عكس التحقق وضعف الإرادة وخيبة الأمل والتخلي عن الحرية.⁽⁴⁾ وبالتالي فإنّ علاقة الهوية بالاعتراب هي علاقة تلازم، غير أنها عكسية في طبيعتها، فكلما اقترب الفرد من تحقيق هويته قل اغترابه، بينما كلما ابتعد عنها زاد اغترابه.

(1) سناء عادل، مرجع سابق، ص 29

(2) محمد ناصر عبد الباسط: الإعلام الفضائي والهوية الثقافية، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2015)، ص 151.

(3) عبد اللطيف خليفة: دراسات في سيكولوجية الاعتراب، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، 2003)، ص 60.

(4) أنظر: حسن حنفي: الهوية، (ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2012)، ص 11-42.

وتشير الدراسات والبحوث إلى أن العزلة والشعور بالاغتراب يعد من العوامل الرئيسية المسؤولة عن مدى تحقق الهوية أو طمس معالمها، فالإنسان كما أشار (محمد الكتاني، 1997) لا يستطيع تحقيق هويته إلا في وسط اجتماعي يتحقق فيه التفاعل بين الذات وغيرها من الذات، وأنه لا يدرك هويته إلا من خلال المسؤولية التي يستشعرها تجاه الآخرين، ولا تنمى هذه الهوية الابداع والمعرفة والخبرة من خلال حياة اجتماعية نشيطة.⁽¹⁾ وعن علاقة الاغتراب بالهوية الثقافية - وإن كان الاغتراب في معناه أنه "فقدان للهوية" - حسب بعض الباحثين - فلقد توصلت دراسة (ناصرى محمد الشريف، 2016)⁽²⁾ إلى أنه توجد علاقة عكسية بين الاغتراب والهوية، فكلما زاد الشعور بالاغتراب لدى الفرد قلّت هويته الثقافية، أي أن الشخص المغترب يفقد هويته الثقافية وانتمائه لمجتمعه. وبالتالي فإن ما يسببه هذا المفهوم السلبي " الاغتراب " من آثار مدمرة تتال من الذات الإنسانية الفردية، وأيضا الذات المجتمعية، وتتنامى معه مشاعر الاحساس بالعجز والعزلة الاجتماعية والانفصال، ويضيع المعنى وسط لا معيارية هدامة ومعها تفتقد العدالة الاجتماعية، وتتقي المساواة بين الأفراد وتضيع الحقوق الأساسية، ويهدر مفهوم الذات وينتفي تحقيقها بل وتتهدد، وربما تتبدد مفاهيم هامة كالولاء والانتماء، وقد تطمس الهوية تماما لا تهتر فحسب، وقد تصبح هشة جوفاء تضيع معها الذات الفردية وبالتالي الذات المجتمعية.⁽³⁾ ويعد الانتماء أحد الأركان الرئيسية في الهوية الثقافية لأي لشعب من الشعوب بل بدونها تفقد الهوية معناها الحقيقي. وفي هذا الاتجاه يشير "الطيب تيزيني" والذي يرى أن للهوية وجه آخر مكمل لها وهو الانتماء، الذي يعرف أنه معنى موجود داخل كل فرد وعلى الاختلاف المستويات، وهو الشعور الذي يوجد لديهم منذ الصغر ويقوى من خلال نشأة الفرد فيتكون لديهم هذا الشعور، الذي يترجم لأفعال داخل المجتمع، فإذا كانت الهوية عملية الإدراك لذاتية الشخص والتي تمدها عوامل خارجية يدعمها المجتمع، فإن الانتماء هو الشعور بهذه العوامل الخارجية، التي تترجم من خلال أفعال تتسم بالولاء لهذه المجتمعات.⁽⁴⁾ وإذا ما ذكرت الهوية عامة اقترنت بها الهوية الثقافية خاصة لتلازمهما الشديدين،

(1) عبد اللطيف خليفة: مرجع سابق، ص 6.

(2) ناصري محمد الشريف: الاغتراب وعلاقته بكل من الاتجاهات نحو العولمة والهوية الثقافية لدى طلبة التربية البدنية والرياضية، أطروحة دكتوراه، معهد التربية البدنية والرياضة، جامعة الجزائر 03، 2016.

(3) أماني عثمان محمد: دراسة تحليلية لمفهوم الاغتراب في ضوء المتغيرات العالمية المعاصرة لدى طلاب الثانوية، مجلة العلوم التربوية، العدد 2، مصر، 2013، ص 41.

(4) ناصري محمد الشريف، مرجع سابق، ص 194.

ارتباط التابع بالمتبوع ومن ثم فهي تعني التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك ومثل وقيم ونظرة إلى الكون والحياة.⁽¹⁾ ومن الآثار السلبية المترتبة عن فقدان الهوية الشخصية أو الثقافية ظهور العديد من السلوكيات غير المقبولة، مثل الانسحاب والبعد عن التعامل مع المجموعة وعدم المشاركة في المسؤولية الاجتماعية، والتمركز حول الذات والانغلاق في دائرة الأهداف والمصالح الشخصية دون المصالح العامة، ورفض القوانين والمعايير الاجتماعية والثقافية.⁽²⁾ وهي المظاهر التي تعكس أبعاد ودلالات الاغتراب بكل أنواعه بداية من الذاتي إلى المجتمعي.

والشخص المغترب ثقافيا قد يتبنى نموذجا ثقافيا يلقي منه اعجابا واستهواء وانفعالا، بينما يعيش واقعا ثقافيا آخر ينتمي إليه، في هذه الحالة يغترب الشخص عن ثقافة المجتمع، ومن مظاهر هذا الاغتراب الثقافي النقل دون الاستيعاب للثقافة الأجنبية، توهما بأنه الطريق إلى التقدم ودالة على التحضر والتبني الأعمى لأفكار أو معتقدات أو نظريات أو قوالب ايديولوجية جاهزة الصنع في ثقافة غير ثقافته.⁽³⁾

وموضوع الهوية يطرح اشكالا عالميا فلا تقتصر على مجتمعاتنا العربية والإسلامية فقط، وإنما تتعداه إلى العالم أجمع فنتيجة للتطورات السريعة خاصة منها التكنولوجية جعلت من العالم كله لا يعرف الراحة ولا يستطيع مواكبة كل هذا الزخم الكبير والسريع من التطور، فالإنسان أصبح تائها في عالم لا يعرفه، غير أن الاشكالية تتفاقم لدينا كمجتمعات مستهلكة ومتلقية للوسائل والثقافات الوافدة.

وعليه، تواجه المجتمعات الإنسانية ثقافة اغترابه تستهدف ثقافاتنا المحلية والتقليدية، وقد بلغ هذا الاختراق الثقافي مداه في عالمنا العربي حيث تدفع الإنسان العربي إلى مزيد من الهامشية والعدوانية والانحدار، ومع دورة هذا الامتداد المدمر لثقافة الاغتراب يجد الإنسان المعاصر نفسه في حصار القهر الثقافي والتشويق والابتذال والضياع والانحدار والعطالة والجمود الوجداني. وإذا كان الإنسان الغربي في حقيقة الأمر يعيش ثقافة اغترابية واحدة، هي ثقافة الحداثة والعولمة وما بعدها، فإن الإنسان العربي يعيش في ظل ثقافتين اغترابيتين، حيث يجد نفسه بين مطرقة ثقافة الحداثة وسندان

(1) محمد ناصر عبد الباسط: مرجع سابق، ص 152.

(2) عبد اللطيف خليفة: مرجع سابق، ص 62.

(3) علجية دوداح: الانتحار والميول الانتحارية وعلاقتها بالاغتراب لدى عينة من الطلبة الجامعيين، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2011، ص 479.

الثقافة التقليدية التي تشكل بدورها تقبا أسودا يلف ويدمر كل المعاني النبيلة للإنسان.⁽¹⁾ لقد ربط العديد من الباحثين أزمة الهوية بمجموعة من الأسباب، نذكر منها العولمة والتغيرات الاجتماعية، الأصالة الحداثيّة، الاستعمار... الخ، ويشير "خالد حامد" إلى أنّ الهوية تتأثر بما تحمله من مقومات الهوية الوطنية، الدين، اللغة والثقافة بوجه عام وبالتباين الاقتصادي والحضاري بين المجتمعات المتخلفة ونظيراتها في العالم المتقدم، إذ تنشأ أزمة الهوية لدى فئات كثيرة من المجتمع، كنتيجة لإدراكهم للتفاوت الكبير بين مجتمعاتهم ومجتمعات العالم المتقدم، من حيث مستويات التقدم والرفاهية التي بلغتها، وكذا درجة ممارسة الحقوق الفردية الجماعية.⁽²⁾

وهو ما بات واضحا من خلال وسائل الاتصال الرقمية، خاصة منها الانترنت وما أتاحتها من وسائل وتطبيقات في مقدمتها مواقع التواصل الاجتماعي التي استحوذت على اهتمامات الشباب وأضحت عنصرا ملازما لحياته، هذه الوسائل لم تقرب العالم لنا فقط، وإنما وأخذتنا إلى كل أبعاده كاشفة عن الوجه الآخر الجميل في العالم أو على الأقل كيف ينظر الشباب إلى المجتمعات الأخرى خاصة منها الغربية "بلاد الأحلام" فلا يشعر الفرد أنه ينتمي إلى مجتمعه بل إلى ذلك المكان، يحدث هذا في ظل الانكسار الذي تعاني منه مجتمعاتنا العربية وفي ظل الحرية والتحكم الفعالية الذي تتيحهم هذه الوسائل التي مكنتها من نيل أهمية كبيرة خاصة في عملية التغيير، هذا الأخير قد يكون للأحسن في بعض الأحيان، بينما قلة الوعي وسوء الاستخدام والظروف السيئة المحيطة بشبابنا جنحت بعملية التغيير إلى الأسوأ، ليجد الشباب أنفسهم يتخبطون بين هويات مفقودة وأخرى مغلوطة، لتتجر عنها مشاعر الاغتراب بشتى أنواعه.

2. الاغتراب (فقدان الهوية) ووسائل الاتصال الرقمية:

تمثل الوسائل التقنية الحديثة بمختلف تطبيقاتها ومجالاتها إحدى المؤثرات المهمة في السلوك الإنساني بشكل عام، وتشير العديد من الدراسات إلى التأثيرات الواسعة التي أحدثتها تكنولوجيا المعلومات والاتصال، على عملية التفاعل الفردي والجماعي داخل المحيط الأسري، وكذلك داخل

⁽¹⁾ علي أسعد وطفة: الاغتراب الثقافي المعاصر: الإنسان المدجن بثقافة الهزيمة، متاح

على <http://www.civicegypt.org/?p=3424>، تاريخ الزيارة: 15/1/2015.

⁽²⁾ حسن منصور: الانتماء والاغتراب - دراسة تحليلية-، (دار جرش للنشر، 1989)، ص 209.

المحيط الاجتماعي للمجتمع الأكبر.⁽¹⁾ كما أحدثت هذه التكنولوجيات الاتصالية الحديثة تأثيرات في جميع المستويات وفي جميع مناحي الحياة وكافة الفضاءات التي يتحرك ضمنها الفرد المعاصر، حيث أتاحت أنماطا اتصالية جديدة، إضافة إلى تأثيراتها العميقة في بنية المجتمعات المعاصرة وعلى مستويات كثيرة كتغير أنماط الاتصال السائدة، تغير في القيم في الذهنيات والنفسيات...، أي أعادت تشكيل بنية المجتمع، وعملت على تهديم عادات اجتماعية كانت سائدة كالتواصل الفيزيقي بين الأفراد...⁽²⁾ وتعتبر مواقع التواصل الاجتماعي أحدث وأبرز التقنيات الرقمية التي شهدت هجرة جماعية من الشباب إلى رحاب فضاءاتها، في عملية سميت بالهجرة الرقمية. حيث ما تتيحه شبكات التواصل الاجتماعي من امكانية الدخول بشخصيات افتراضية تدفع الفرد إلى تقمص ذات أو ذوات مثالية أو "عالمثالية" كما سماها الباحث "سعد البازعي" وهي هوية تجمع بين الثقافة المحلية من لغة ودين وموروث ثقافي وشعبي وثقافة أجنبية بكل مكوناتها، وهذا ما يبده في الأخير هوية الفرد الأصلية من خلال انتمائه للمجتمع الأصلي، مما يطرح في مرحلة ثانية تساؤلا عن مدى شرعية انتمائه لهذا المجتمع التقليدي، ولعل ما توصلت إليه دراسة حديثة حول "أثر الانترنت على هوية الشباب الجزائري" أن (36%) من أفراد العينة يرون أن الانترنت جعلتهم يرتبطون بالعالم الخارجي أكثر من المحلي لدليل على القول السابق.⁽³⁾ وحذر بعض الخبراء من أن الاستخدام المفرط للشبكات الاجتماعية هروبا من الواقع الاجتماعي إلى الواقع الافتراضي، قد أدى إلى فقدان المهارات المطلوبة لإقامة علاقات اجتماعية في البيئة المجتمعية الواقعية، وتراجع الاتصال الشخصي المباشر في مقابل التواصل عبر الشبكات الاجتماعية، الأمر الذي يؤدي إلى جنوح الشباب نحو الاغتراب الاجتماعي، ومن ثم التأثير السلبي على سلوك الفرد داخل المجتمع، بشكل يجعله يميل إلى الانطوائية والتمركز حول الذات والتوقف عن المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والرياضية والتلاقي مع أفراد الأسرة، الأمر الذي يؤثر على منظومة القيم الاجتماعية لدى الفرد بتقديمه للقيم الفردية على القيم الاجتماعية، مما يقلل من فرص التفاعل الاجتماعي، وخاصة لدى

(1) محمد بن سليمان الصبيحي، حمد بن ناصر الموسى: العلاقة بين استخدام الإنترنت والاعتراب الاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26، 2012، ص 213.

(2) مريم نومار: استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية، رسالة ماجستير، شعبة علوم الإعلام والاتصال، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر-باتنة، 2012، ص 85.

(3) باديس لونيس: عن سؤال "الهوية في ظل الشبكات الاجتماعية الإلكترونية"، متاح على :

http://moslimonline.com/print_pal.php?id=3822، تاريخ الزيارة: 2017/05/14.

المراهقين الذين تجذبهم المعلومات الخيالية وغير الواقعية، مما يؤثر بشكل سلبي على عادات وتقاليد الأجيال الجديدة، ومن ثم الصراع بين الأجيال فضلا عن التأثير السلبي على العلاقات الأسرية والتواصل الجسدي والنفسي. ويرى "جراي كروج" (Gray Krug) أن ابتكار الواقع الافتراضي وعوالمه الالكترونية أدى إلى تفكيك العلاقات الاجتماعية، ويقصد بذلك أن التفاعلات الجديدة قد أثرت على المجتمع سلبا، بتفكيك العلاقات التي تقوم على أساس الوجه بالوجه، وينفق مع هذا الطرح أيضا "ألبرت بورجمان" (Albert Borgman) فيرى أن هذا العالم الافتراضي الجديد يبعدنا عن عالمنا الواقعي، ووفقا لوجهة النظر هذه فإن الاستخدام المفرط والمدمن لوسائل التواصل الاجتماعي سوف يؤثر بلا شك على العلاقات الاجتماعية سلبا، إذ أن هذه الجماعات لا ترتبط بهوية بذاتها أو قومية معينة، ولكنها تجمع بين أفراد ينتمون إلى هويات مختلفة وقوميات متعددة، وكل ما يجمعهم فقط هو اهتمامات مشتركة، ومن ثم فقد أدى هذا النوع الجديد لدى بعض الأفراد وخاصة الانطوائيين إلى النزوع نحو الفردية والانعزال عن السياق الاجتماعي.⁽¹⁾ وفي هذا السياق أثبتت دراسة (During,1996) حول تأثير الانترنت على الوحدة والعزلة الاجتماعية لدى الأفراد، أنها تزيد من معدل الوحدة الاجتماعية لدى الشخص، حيث وجدت علاقة دالة احصائيا بين طول المدة التي يقضيها الفرد أمام الجهاز وبين انخفاض المشاركة الاجتماعي مع المحيطين، وأشارت الدراسة إلى وجود علاقة دالة احصائيا بين استخدام الانترنت والشعور بالاعتراب الاجتماعي لدى الشباب، حيث زاد مستوى العزلة والوحدة لديهم نتيجة فقد القدرة على التكيف الاجتماعي والتواصل مع الآخرين.⁽²⁾ وفي نفس الموضوع يتفق العديد من الباحثين أمثال "تومبسون وديماجيو وكراوت وزابوف وستول"، أن هذا النوع من الاتصال وما أوجده من تغييرات جذرية في حياة الناس فعلمت على تفتيت العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وحولت ما كانت تتمتع به من دفء وحميمية إلى برود وفتور وغيرت أنماط تفاعلهم الاجتماعي، وفتحت لهم مسار سلوكية أضرت بقيمهم وأخلاقهم، فضلا عما أوجدته بينهم من مشكلات جديدة غير مألوفة من قبل، كتبلد حسهم الاجتماعي والوجداني واعترابهم النفسي وعزلتهم الاجتماعية وانتشار قيم الاستهلاك بينهم

(1) حمدي بشير: ظاهرة الإعلام الاجتماعي وأبعادها الاقتصادية والسياسية والأمنية في العالم العربي (الأردن: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، 2014)، ص 50.

(2) نايف بن ثيان آل سعود: علاقة شبكات التواصل الإلكتروني بالاعتراب الاجتماعي للمراهقين في المجتمع السعودي (دراسة ميدانية)، المجلة العربية للإعلام والاتصال، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، الرياض، العدد 11، 2014، ص 43.

والعيش في العوالم الافتراضية المتخيلة، التي أوجدتها ليعيشوا فيها كعوالم بديلة عن عوالمهم الحقيقية.⁽¹⁾

3. تداعيات الشعور بالاغتراب على الشباب:

إن معاناة الشباب من الاغتراب يساهم هو أيضا في إفراز عدد من المشاكل الاجتماعية، التي تعتبر نتيجة حتمية له لأن بهذه الحالة يحاول الافلات من سيطرة هذا المرض الاجتماعي، من خلال الجوء إلى إدمان المخدرات كحل سلبي وانسحابي للهروب من الواقع الاجتماعي المرير، الذي يطاردهم في أشكال علاقاتهم الاجتماعية، ناهيك عن انتشار الجريمة والسرققة للتعويض عن الجزء المفقود من الدخل المادي لديهم، وبهذا المعنى أصبحت المشاكل مرتبطة بشكل مباشر بالاغتراب لدى الشباب، فالاغتراب الاجتماعي بكل تجلياته يدخل في علاقة جدلية مع الواقع الاجتماعي أي في علاقة تأثير وتأثر.⁽²⁾ ويرى أغلب العلماء أن الاغتراب يمثل أحد أسباب إدمان المخدرات وعدوانية الشباب وتمردهم على النظام وفقدانهم الحس الاجتماعي والهوية والانتماء الوطني، والتبدل واللامبالاة وغيرها من الأمراض الاجتماعية والنفسية المدمرة، التي تحتاج إلى جهود مخصصة ومتكاملة لعلاجها قبل استفحالها.

ولعل أبرز آثار الاغتراب في حياتنا المعاصرة، ما تفصح عنه الاحصاءات والدراسات السيكولوجية والاجتماعية، من زيادة خطيرة في انتشار الأمراض النفسية والانتحار وإدمان الخمر والانحلال الجنسي والدعارة وهجرة العقول، ومن هنا كان الاغتراب مشكلة إنسانية عامة وأزمة للإنسان المعاصر، وإن اختلفت أسبابه ومظاهره ونتائجه من مجتمع لآخر، ومن جيل إلى جيل آخر، فهو يشير إلى شعور الفرد بعدم الانتماء للآخرين وللمجتمع الذي يعيش فيه، أو رفض الآخرين والمجتمع له، ولعل أبرز ذلك ما يبرر انتشار استخدام مفهوم الاغتراب في الموضوعات التي تعالج مشكلات الانسان المعاصر.⁽³⁾ أمّا (الياسين، 1985) فيرى أن الاغتراب يسبب فقدان الأحاسيس والعواطف، والنفور من البيئة الاجتماعية ويؤدي إلى خلق مشاكل في المعيشة، وذلك من خلال عزل الفرد عن

⁽¹⁾ حلمي ساري: تأثير الاتصال عبر الانترنت في العلاقات الاجتماعية (دراسة ميدانية)، مجلة جامعة دمشق، العدد 2/1، 2008، ص 306.

⁽²⁾ خالد منصر: علاقة استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال بالاغتراب لدى الطلبة الجامعيين، رسالة ماجستير، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر-باتنة، 2016، ص 121.

⁽³⁾ علاء زهير الرواشدة: الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة الثقافية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 3، 2012، ص 7.

بقية المجتمع واغترابه عن بيئته الاجتماعية، وتدهور اهتمامات الفرد في النشاطات الاجتماعية وانسحابه ورفض القيم الشائعة في المجتمع، لذلك فإن خطورة الاغتراب تكمن في ظهور مشاكل خطيرة أمام الفرد والمجتمع عامة.⁽¹⁾ كما أنه من نتائج الاغتراب أيضا مايلي:

- **الهامشية:** فالصلة إذ يؤدي الاغتراب إلى تشكيل شخصية هامشية بسبب شعور الفرد بالانفصال عن المجتمع، وأنه بلا هدف وأنه غريب عن بلده وعاجز عن اتخاذ القرارات. فالشخص الهامشي هو الذي ليس عضوا مشاركا في جماعة ما وخصوصا الذي يقف على الحدود بين جماعتين غير واثق من عضويته لأي منها.⁽²⁾ وهو ما يطابق وضع شبابنا العربي والجزائري الذي تجده ينتمي إلى مجتمعه شكلا فقط، حيث لا يحس أنه جزء حقيقي من مجتمعه ويرفض العمل وفق معاييرهم، وضوابطه التي تتخلى في جزئياتها عن تقديم المشاركة للشباب وعن تقديم رؤى واضحة تعبر عنهم، وكذا وضع استراتيجيات تمكنهم المساهمة في بناء مجتمعاتهم وأن يكونوا أفرادا فعالين.

- **التطرف:** يلجأ المتطرفون إلى شن حرب مدمرة على البناء السياسي الذي تعيش فيه الأفكار المقيدة لحرياتهم، ولا تعطيم الفرصة للتعبير عن أفكارهم ومشكلاتهم، ولهذا فإن الفكر المتطرف صنوان للاغتراب السياسي والاجتماعي. ولقد توصلت دراستي كل من (محمد أحمد بيومي، 1993) و(سمير نعيم، 1990) أن أسباب التطرف في الوطن العربي تتمثل في جملة من العوامل، كالفراغ الفكري وشعورهم بالعجز والعزلة ومجموعة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، التي ولدت الاغتراب والذي يؤدي بدوره إلى بروز التطرف لديهم.⁽³⁾

- **العنف والإرهاب:** كشفت الدراسات من خلال نتائجها أن هناك ارتباطا وثيقا بين الاغتراب بالعديد من الاضطرابات والمتغيرات غير السوية: مثل العنف والإدمان والانتحار. وليس غريبا أن نجد ارتباطا بين الاغتراب والإرهاب، وذلك استنادا على بعض الخصائص المميزة للإرهابيين من واقع العديد من الدراسات وتتمثل في: التناقض الوجداني والفكري تجاه السلطة. وعدم وضوح الرؤية وعدم القدرة على الاستبصار والانفصال العاطفي، واضطراب الهوية، والاتجاه إلى تدمير الذات داخليا وخارجيا، والانتماء إلى مجموعات تؤمن بقيم العنف والعدوان...⁽⁴⁾

⁽¹⁾ صالحة سنان: الاغتراب النفسي والقلق العام لدى عينة من الطالبات المستخدمات وغير المستخدمات للانترنت (دراسة ميدانية)، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، جامعة القرى، الملكة العربية السعودية، 2006، ص 29.

⁽²⁾ عبد اللطيف خليفة: مرجع سابق، ص 142، 146.

⁽³⁾ صالحة سنان: مرجع سابق، ص 150.

⁽⁴⁾ عبد اللطيف خليفة: مرجع سابق، ص 156.

وأكدت بعض الدراسات هذه الآثار، منها دراسة (بلعابد عبد القادر، 2014)⁽¹⁾ تطرقت إلى العلاقة بين الاغتراب والاتجاه نحو العنف لدى الشباب، أين أجريت على عينة من طلبة جامعة وهران، توصل الباحث فيها إلى وجود علاقة بين الاغتراب والاتجاه نحو العنف لدى الطلبة، أي أن ميل الطالب لسلوك العنف بأنواع سواء كان لفظي أو جسدي، جاء نتيجة اضطراب العلاقة بين الطلاب ومجتمعهم ومع ذواتهم، نتيجة اضطراب الهوية لديهم.

- **تعاطي المخدرات:** يعد الاغتراب بما يتضمنه من شعور بالعجز والعزلة الاجتماعية واللامعنى واللامعيارية، أحد العوامل الأساسية المسؤولة عن الإقدام على تعاطي المخدرات أو المواد المؤثرة على الأعصاب، ويمكن النظر إلى الاغتراب كمناخ مهياً للعديد من المشكلات والاضطرابات.⁽²⁾ كما أشارت الدراسة التي قام بها (1994,amir) إلى أن هناك ارتباطاً إيجابياً بين تعاطي المخدرات والاضطراب.

- **الانتحار:** إن الاغتراب أزمة نفسية واجتماعية عميقة يمكن أن تصل آثارها لدى الفرد إلى الحد الذي يمكنه من أخذ القرار بإنهاء حياته، فالشخص المغترب بدرجة كبيرة يرى نفسه أنه لم يعد ينتمي إلى العالم الذي يعيش فيه على المستوى الذهني أو حتى المادي، ناهيك عن الاحساس بالعجز واليأس. وأجرت (علجية دوداح، 2011)⁽³⁾ دراسة نفسية اجتماعية حول علاقة الانتحار الميول الانتحارية بالاغتراب لدى الطلبة الجامعيين بولاية (البويرة)، على عينة ضمت (344) طالب وطالبة، وتوصل فيها إلى وجود علاقة ذات دلالة احصائية بين الميول الانتحارية والاغتراب، خاصة لدى الفئة العمرية بين (18-24) سنة، وأرجع ذلك إلى صعوبة تكيف الطالب في بداية مشواره التعليمي بالجامعة مع الظروف الصعبة السائدة كالإقامة، وعدم وجود مركز للترشيد الأكاديمي والمهني وصعوبة اندماج الطلاب القادمون من الريف، وعدم رضا الطلاب عن عدم معاملة الموظفين لهم... إلخ، وهو ما يؤدي إلى سخط الطلاب وانعزالهم، وهو ما يفسر شعورهم بالاغتراب.

- **ضعف المشاركة السياسية:** لا شك أن المشاركة السياسية تنمي الشعور بالانتماء وإحساس الشاب بأنه جزء من نسيج المجتمع له قيمته وفاعليته، كما أنها تتيح له المجال الإثبات ذاته كإنسان

⁽¹⁾ عبد القادر بلعابد: الاتجاه نحو العنف وعلاقته بالاغتراب لدى الشباب في ضوء متغيري الثقافة والجنس، أطروحة دكتوراه، قسم علم النفس، جامعة وهران، 2014.

⁽²⁾ علاء زهير الرواشدة: مرجع سابق، ص 7.

⁽³⁾ علجية دوداح: مرجع سابق.

حر، قادر على اتخاذ موقف وما يستتبع ذلك من مشاعر الاعتبار وترسيخ الاحساس بالهوية، والمشاركة السياسية لا تنفصل عن الوعي السياسي المتحصل بالتنشئة السياسية للمجتمع، والتي تنمي روح الاغتراب والخوف والاحساس بعبثية وعدم جدوى المشاركة.⁽¹⁾ وتحقق (بكار فتحي، 2013)⁽²⁾ من علاقة الاغتراب السياسي بالمشاركة السياسية في الجزائر، توصل فيها إلى وجود علاقة طردية بينهما، فكلما زاد الاغتراب كلما قلّت المشاركة السياسية كضعف المشاركة في الانتخابات وضعف الإقبال على التصويت بكل أنواعه في الجزائر، وكذا وتراجع الإقبال على انشاء الجمعيات ذات الطابع السياسي والجمعيات السياسية.

- **الاضطرابات النفسية:** لقد كشفت الدراسات عن علاقة الاغتراب بالعديد من المشكلات النفسية كالاكتئاب وفقدان الثقة والقلق والوحدة النفسية... الخ. فأفسرت نتائج دراسة (زينب حسن الزويد، 2015)⁽³⁾ حول علاقة الاغتراب بالاضطراب النفسي لدى عينة من طالبات السكن الجامعي بالرياض، أنه توجد علاقة ايجابية دالة احصائيا بين الاغتراب والاضطرابات النفسية لدى الطالبات، مثل القلق والاكتئاب والوسواس القهري. وفسرت هذه النتائج بكون الفرد الذي لا يحقق اشباعا لحاجاته النفسية والاجتماعية يصيبه الاضطراب النفسي، فيحيا حالة من السلبية واللامبالاة واللاهدفية في الحياة. وتوصلت دراسة (عيد، 1997)، التحليلية للاغتراب وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية لدى الشباب، والتي هدفت إلى الكشف عن العوامل التي تحدد ظاهرة الاغتراب ودراسة العلاقة بين هذه العوامل. وأشارت النتائج إلى أن الاغتراب وتحقيق الذات ضدان لا يجتمعان، وهذا يؤكد بأن المغترب عاجز عن استغلال امكاناته وقدراته ومواهبه.⁽⁴⁾ ويلخص "حسن منصور" آثار الاغتراب على الفرد والمجتمع في مايلي:

أولاً: على المستوى الفردي:

- الضيق النفسي فالمغترب يشعر بأنه يعيش في مساحة ضيقة من العالم، رغم أنه يتحرك في فضاء واسع جغرافياً.

(1) هاني الجزائر: أزمة الهوية والتعصب - دراسة في سيكولوجية الشباب-، (ط1، الحيزة: دار هلا للنشر، 2011)، ص 62.

(2) فتحي بكار: الاغتراب السياسي وأثره على المشاركة السياسية (دراسة حالة الجزائر، 1989-2012)، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية والعلاقات العامة، جامعة الطاهر مولاي سعيدة، 2013.

(3) زينب حسن الزويد: الاغتراب وعلاقته بالاضطراب النفسي لدى طالبات السكن الجامعي، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، جامعة الملك عبد العزيز، 2015.

(4) الموقع الالكتروني: متاح على: <http://www.kb-baghdadi.net/vb/t124637.html>، تاريخ الزيارة 2017/2/5.

- الشعور بالانفصال عن الواقع فالمغترب تضعف روابطه النفسية مع محيطه، وتجده فاقد الاهتمام بالآخرين وبالمجتمع.
 - يعيش المغترب أزمة نفسية اجتماعية فهو انسان منهزم في أعماقه أمام المجتمع، الذي يعتبره مسئول عن شقائه وهو يتجه في نفس الوقت إلى نفسه ويركز فيها.
 - اختلاف سلوك المغترب عن المعتاد حيث يعتقد أن هذا الاختلاف هو السبيل للحرية، كممارسة الأشياء الممنوعة أو المحرمة في مجتمعه.
 - وفي مجال الانتاج الفكري والمادي يعتبر المغتربون هم مصدر التمرد والثورة، لأنهم يدعون إلى الحرية التامة للإنسان في عمل ما يريده بدون قيد أو رقيب.
- ثانيا: على المستوى الجمعي:

- بروز الطائفية في بعض المجتمعات خصوصا إذا كان المجتمع مكونا من مجموعات عرقية أو دينية أو لغوية أو سياسية مختلفة. وبالتالي له أثر سلبي على كيان المجتمع فيؤدي به إلى التجزؤ إلى قطاعات متعادية وفاقد للوحدة
- فقدان الشخصية الثقافية للمجتمع: ويصاحبها ظواهر سلبية أهمها:
- الانحلال الخلقي الذي تسبب فيه الانتشار الثقافي، أي تبني ثقافة أخرى صادرة، خاصة في أنه الثقافة الغربية هي السائدة في الوقت الراهن، وتعتبر تكنولوجيا الاتصال الحديثة هي المسبب الرئيسي في استيراد الثقافة الخارجية عن المجتمعات المحلية.
- انتشار الايديولوجيات السلبية والإشاعات، حيث تجد لها جوا مناسباً للانتشار في نفوس من يشعرون بالاغتراب، حيث من السهل على المروجين لأي مذهب أن يصلوا إلى اقناع الأفراد المغتربين، فهم يعتقدون تلك المذاهب بسهولة نظرا للفراغ الفكري والنفسي الذي يعيشون فيه.⁽¹⁾

الخاتمة:

تبدأ رحلة الفرد منذ الصغر في البحث عن هويته الذاتية والاجتماعية، ولا شك أن المحيط يلعب دور أساسي في تشكيل هذه الهوية بداية من الأسرة مروراً بالمسجد والمدرسة ووسائل الإعلام، غير أنه مع بروز الوسائل الاتصالية الرقمية تغير كل شي وتغيرت مع الأدوار التقليدية لوسائل الإعلام عامة. وإنه لمن المسلم به أن شبابنا اليوم يعيش في الواقع الرقمي أكثر من الواقع الحقيقي

(1) أنظر: حسن منصور: مرجع سابق، ص 350 - 363.

الذي يعتبره مجتمعا موازيا يحمل ما تحمله مجتمعاتهم الفعلية غير أنه يتميز بالحرية والانفتاح أكثر، وبالتالي أصبحت إحدى أهم الوسائل المؤثرة في قيمه وثقافته وتنشئته وسلوكاته، أي أنّ هذه الأهمية توزاي أهمية الأثر الذي تتركه، ويمكن القول أن هذه الوسائل لم تساعد كثيرا على تحقيق الذات والهوية وإنما عملت على طمسها أكثر وتحقيق مشاعر الاغتراب، ولتفادي هذه الآثار المدمرة لا يوجد إلا وعي الافراد بما يتلقونه من مضامين عبر هذه الوسائل وكذا الاستخدام الايجابي للتقنية وللمحتوى.

مراجع البحث:

أ. الكتب والمقالات:

- . بشير حمدي: ظاهرة الاعلام الاجتماعي وأبعادها الاقتصادية والسياسية والأمنية في العالم العربي (الأردن: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، 2014).
- . بكار فتحي: الاغتراب السياسي وأثره على المشاركة السياسية (دراسة حالة الجزائر، 1989-2012)، رسالة ماجستير منشورة، قسم العلوم السياسية والعلاقات العامة، جامعة الطاهر مولاي سعيدة، 2013.
- . بلعابد عبد القادر: الاتجاه نحو العنف وعلاقته بالاغتراب لدى الشباب في ضوء متغيري الثقافة والجنس، أطروحة دكتوراه، قسم علم النفس، جامعة وهران، 2014.
- . بن ثيان نايف آل سعود: علاقة شبكات التواصل الإلكتروني بالاغتراب الاجتماعي للمراهقين في المجتمع السعودي، المجلة العربية للإعلام والاتصال، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، الرياض، العدد 11، 2014.
- . حسن الزويد زينب: الاغتراب وعلاقته بالاضطراب النفسي لدى طالبات السكن الجامعي، رسالة ماجستير منشورة، قسم علم النفس، جامعة الملك عبد العزيز، 2015.
- . حنفي حسن: الهوية، (ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2012).
- . خضر حلمي ساري: تأثير الاتصال عبر الانترنت في العلاقات الاجتماعية (دراسة ميدانية)، مجلة جامعة دمشق، العدد 2/1، 2008.
- . خليفة عبد اللطيف: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، 2003).

- . دوداح علجية: الانتحار والميول الانتحارية وعلاقتها بالاغتراب لدى عينة من الطلبة الجامعيين، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2011.
- . سنان صالح: الاغتراب النفسي والقلق العام لدى عينة من الطالبات المستخدمات وغير المستخدمات للانترنت (دراسة ميدانية)، رسالة ماجستير منشورة، قسم علم النفس، جامعة القري، المملكة العربية السعودية، 2006.
- . عادل سناء ابراهيم: التغير القيمي وعلاقته بهوية الذات والاغتراب النفسي، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، كلية الدراسات العليا، قسم ارشاد نفسي وتوجيه تربوي، 2015.
- . علاء زهير الرواشدة: الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة الثقافية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 3، 2012.
- . محمد الشريف ناصري: الاغتراب وعلاقته بكل من الاتجاهات نحو العولمة والهوية الثقافية لدى طلبة التربية البدنية والرياضية، أطروحة دكتوراه، معهد التربية البدنية والرياضة، جامعة الجزائر 3، 2016.
- . محمد أماني عثمان: دراسة تحليلية لمفهوم الاغتراب في ضوء المتغيرات العالمية المعاصرة لدى طلاب الثانوية، مجلة العلوم التربوية، العدد 2، مصر، 2013.
- . محمد بن سليمان الصيحي، حمد بن ناصر الموسى: العلاقة بين استخدام الانترنت والاغتراب الاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26، 2012.
- . منصر خالد: علاقة استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال بالاغتراب لدى الطلبة الجامعيين، رسالة ماجستير، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر-باتنة، 2016، ص 121.
- . منصور حسن: الانتماء والاغتراب (دراسة تحليلية)، (دار جرش للنشر، 1989).
- . ناصر حمد بن عبد الباسط: الإعلام الفضائي والهوية الثقافية، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2015).
- . نומר مريم: استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية، رسالة ماجستير، قسم العلوم الإنسانية، شعبة علوم الإعلام والاتصال، جامعة الحاج لخضر-باتنة، 2012.
- . هاني الجزار: أزمة الهوية والتعصب -دراسة في سيكولوجية الشباب-، (ط1، الجيزة: دار هلا للنشر، 2011).

ب. المواقع الإلكترونية:

. باديس لونيس: عن سؤال " الهوية في ظل الشبكات الاجتماعية الإلكترونية"، متاح على:

http://moslimonline.com/print_pal.php?id=3822

. علي أسعد وطفة: الاغتراب الثقافي المعاصر: الإنسان المدجن بثقافة الهزيمة، متاح

على: <http://www.civicegypt.org/?p=3424>

. الموقع الإلكتروني: متاح على: <http://www.kb-baghdadi.net/vb/t124637.html>